١٣

نشوء وتطور حضارة سومر في بلاد ما بين النهرين

خلال الفترة ٤٥٠٠الى ٢٠٠٠ق.م

م.م ماجد طلال حسن هاشم

وزارة التربية/ مديرية تربية الكرخ/٣

ملخص

تقوم الدراسة بتسليط الضوء على صورة تاريخية مشرقة في أقدم الحضارات ، ودراسة نشأت وتطور حضارة سومر من عام ٤٥٠٠ الى ٢٠٠٠ق.م ومختلف الأفكار والأمور التي كانت سبباً في سير أحداث حضارة سومر ، لذا مثلت دراسة هذا الموضع دوراً مهماً في معرفة ابتكار أعظم المنجزات الحضارية التي غيرت مجرى التاريخ في بلاد ما بين النهرين، وتهدف هذه الدراسة الى تسليط الضوء على :كيف نشأت حضارة سومر في بلاد ما بين النهرين ؟ ، وكيف تطورت حضارة سومر ما بين عام ٤٥٠٠ الى ٢٠٠٠ق.م

الكلمات المفتاحية: حضارة سومر، بلاد ما بين النهرين، نشوء، تطور

The emergence and development of the Sumerian civilization in Mesopotamia during the period 4500 to 2000 BC

Abstract

The study sheds light on a bright historical picture of the oldest civilizations, and studies the emergence and development of the Sumer civilization from 4500 to 2000 BC and the various ideas and matters that were the cause of the events of the Sumer civilization. Therefore, the study of this topic represented an important role in knowing the innovation of the greatest cultural achievements that It changed the course of history in Mesopotamia, and this study aims to shed light on: How the Sumer civilization arose in Mesopotamia. The two rivers? How did the Sumer civilization develop between 4500 and 2000 BC?

Keywords: Sumer civilization, Mesopotamia, emergence,

Development

المقدمة:

أخذ الإنسان يتدرج في الحضارة منذ زمن بعيد ، وبدأ يتنقل خطوة بعد خطوة حتى وصل الى تحقيق الكثير من الاختراعات التي ساعدته على توفير الاستقرار والراحة والأمن لنفسه ، وأيضاً مكنته من التغلب على العديد من الصعوبات ، ولا سيما الاخطار التي تلحق به في حياته البدائية الأولية ، وإن دراسة موضوعنا ليست قصة أصل حضارة سومر ، ثم مولدها وتطورها ، إلا أنها سلسلة متعاقبة لقصة الحضارة الإنسانية ، بدأت في هذه الجزء من دراسة حضارة سومر من عام ٤٥٠٠ حتى ٢٠٠ ق .م ،التي مكنت الناس من الوصول الى بعض أسباب التقدم وجعلتهم يتقدمون في بعض المراحل الثقافية ، بشكل خاص عندما خلف الإنسان وراءه حياته كجامع للغذاء وأصبح ملجأ له ، حينئذ أخذت جماعات تستقر على مقربة من موارد المياه يزرعون الأرض ويستأنسون بعض الحيوانات [١] .

لم يقف الانسان عند هذا الحد بل أخذ يفكر في تسخير بعض القوى الطبيعية لراحته ورفاهيته ، من ثم وجدت غريزة الحرص والاستزادة سبيلها الى نفسه وكان ذلك علامة جيدة في التقدم .

أولاً: أهمية الموضوع :

تكمن أهمية دراستنا بتسليط الضوء على صورة تاريخية مشرقة في أقدم الحضارات ، ودراسة نشأت وتطور حضارة سومر من عام ٤٥٠٠ الى ٢٠٠٠ق.م ومختلف الأفكار والأمور التي كانت سبباً في سير أحداث حضارة سومر ، لذا مثلت دراسة هذا الموضع دوراً مهماً في معرفة ابتكار أعظم المنجزات الحضارية التي غيرت مجرى التاريخ في بلاد ما بين النهرين .

وتهدف هذه الدراسة الى تسليط الضوء على :

١-كيف نشأت حضارة سومر في بلاد ما بين النهرين ؟

٢-كيف تطورت حضارة سومر ما بين عام ٤٥٠٠ الى ٢٠٠٠ق.م؟

ثانياً: إشكالية البحث:

تتمحور إشكاليات البحث في معرفة وتسليط الضوء على تاريخ حضارة سومر ومعرفة دورها التاريخي المجيد في بلاد ما بين النهرين من ٤٥٠٠ق.م حتى ٢٠٠٠ق.م ، وللإجابة عن هذه التساؤلات وضعت التساؤلات:

١-ماهي حضارة سومر ؟

٢-ماهو دور حضارة سومر وأثرها في بلاد ما بين النهرين من عام ٤٥٠٠ق.م الى ٢٠٠٠ق.م؟

أولاً: حضارة سومر :

١-مفهوم حضارة سومر:

الحضارة هي مختلف أنشطة وسلوك الإنسان تشمل عدة مظاهر منها الدين واللغة والأخلاق والنظم والعادات والتقاليد الاجتماعية والاقتصادية والفنون بعدة أنواعه ، وكل ما يتوجب على الإنسان إن يتعلمه ضمن إطار مجتمعة. (٢)

شكلت حضارة بلاد ما بين النهرين المنهل الأساسي الذي علم العالم أصول الحكم والقيادة ووضع الأسس الرصينة لتشكيل نظام الحكم ، من خلال وجود فكرة بناء اعتمدت على التجزئة بالدرجة الأولى ، كما رأى جاكوبسن أن السلطة العليا تعد من أقدم مجتمع سومري ، من خلال العصر بالشبيه بالكتابي بيد المجلس العام . (٣)

٢-نشأت حضارة سومر:

نشأت حضارة سومر في العراق عام ٤٥٠٠ق.م ،فهي تعد من أقدم حضارة في تاريخ الإنسانية ، كما تحوي العديد من اسرارها ، فبرز أثرها الكبير في نشأت حضارات العراق وتطور الإنسان والحياة ،و بدأت هذه الحضارة في بلاد الرافدين ، إذ كانت تقع بين نهري دجلة والفرات في العراق ، امتدت بعد ذلك إلى سوريا ومنطقة الخليج العربي ، وتمتد أصولها وجذورها الى عصر ما قبل التاريخ ، وأول النصوص التي وردة فيها اسم السومريين وبلاد سومر في العراق ، كان من ألقاب قدماء الملوك اللقب المزدوج " ملك بلاد سومر وأكد" ، وهو أول من قال عن اللغة السومرية أنها إحدى اللغتين الرئيسيتين التي كتبت بها حضارة ما بين النهرين وهما السومرية والأكدية .(٤)

عثر على مجموعة من الكنوز والمقابر الملوك في أور يظهر أن السومريون صاغوا الذهب والفضة ، واستعملوا الأحجار الكريمة في صناعة المجوهرات من القلادات والمحابس. (٥)

٣-تسمية العصر السومري:

تعود تسمية "سومر" نسبة لموقعها ، عندما كانت تقع بين نهر دجلة والفرات ،و ظهرت أولى السلالات السومرية التي شكلت الأنظمة السياسية ، عرفت بدويلات المدن السومرية ، ظهرت في القسم الجنوبي من العراق خاصة في السهل الرسوبي ، من ثم توسعت المدن الى مدن كبرى ، عندئذً أصبحت لكل مدينة وحدة سياسية مستقلة بذاتها ، كما تمكنوا من إقامة دولة ذات نظام دولة مدنية خلال سنة ٢٩٠٠-٢٣٧٠ق. م نمت وتطورت في حضارتها وعلومها وفنونها ومعمارها . (٦)

أما تسمية (سومر) هي اسم يطلق على جنوب العراق ، وقد سمي سكان هذه المنطقة باسم السومريين نسبة لهم ، يعدون الى أقدم الشعوب العريقة التي استطاعت وضع الأسس الرئيسية للحضارة الأولى في تاريخ الإنسانية عموماً ، وفي تاريخ جنوب بلاد ما بين النهرين بشكل خاص ، وورد أول ذكر لبلاد سومر في اللقب المزدوج للحكام والملوك ، مثل أقدمها الملك (أوتو حيكال) جاء على هيئة (لوكال كي ان كي اوري) ، استمر استعمال هذا اللقب كل عهود العراق حتى بعد زوال كيان السومريين السياسي (٧).

٤- أصل السومريين ولغتهم :

أختلف الباحثون حول أصل السومريين ، فهنالك أراء كثيرة حول ذلك ، أحدهما قال أنهم من جنس البحر المتوسط ، وأن الهياكل العظمية التي تم الكشف عنها منذ أقدم أدوار الاستيطان في السهول الرسوبية ، لم تساعد المختصين في علم الاجناس على اكتشاف جنس السومريين ، ولكن الأغلبية العظمة أكدوا انهم من سكان بلاد ما بين النهرين ، وكانوا قد انتقلوا من شمال بلاد ما بين النهرين الى الجنوب بعد تغير ظروف الحياة ، حيث استوطنوا في مدينة الديوانية وامتدوا الى أقصى جنوب بلاد ما بين النهرين ، يجاورهم الأكديون في شمال هذه المنطقة ، وبالأصل هم ينتمون الى القبائل الجزرية التي نزحت من شبه جزيرة العرب واستوطنوا في بلاد ما بين النهرين منذ زمن بعيد ، واستقلت اللغة السومرية عن مجاميع اللغات المعروفة كمجموعة اللغات الهندو أوربية أو اللغات السامية ، فقد شكلت مجموعة مستقلة بذاتها ، وعدت من ضمن اللغات اللصيقة ، إذ تجمع الصفات والأسماء أو الأفعال لتكون مصطلحات جديدة كالوكال تعني الملك . (٨)

وفي وقت تنتمي اللغة الاكدية إلى مجموعة اللغات الجزرية ، وينتمي سكان بلاد ما بين النهرين الى خليط من عرق البحر المتوسط الذي يتميز بجمجمته المستديرة ، ومن عرق أوروبا الوسطى وبلاد أرمينيا المتميزون بجمجمتهم المستديرة ، وفضلاً عن المكتشفات الاثرية التي تم الكشف عنها في المدن السومرية التي تثبت أنهم مارسوا أنظمة سياسية وعادات وأعراف وتقاليد

اجتماعية متماثلة ، هذا ما يشير الى كونهم جزء من حضارة نشأت وازدهرت في المناطق الجنوبية في بلاد ما بين النهرين ، كما يقصد بالسومريين القوام التي تتكلم اللغة السومرية [٩].

واعتبرت العائلة اللغوية التي تنتمي اليها السومرية لغة منفردة ، من غير الممكن إرجاعها الى إحدى العوائل اللغوية التاريخية ، كما أنها تتصف بالإلصاق وغالبية مفرداتها قوامها مقطع واحد ، حيث دونت اللغة السومرية في بلاد ما بين النهرين بالخط المسماري. [١٠]

وتصنف اللغات الجزرية الى ما يلي [١١]:

- اللغات الجزرية الشرقية : هي اللغات التي تحدث بها الآشوريين والأكديين والبابليين في بلاد ما بين النهرين ، دونت في التاريخ بالخط المسماري.
- اللغات الجزرية الغربية : أن موطنها بلاد الشام ، تشمل الكنعانية والأمورية والعبرانية والآرامية والأوغاريتية والفنينيقية .
- اللهجة العربية الجنوبية: تشمل السبأية والمعينية والقتبانية واللحيانية والحبشية.
- اللهجات العربية الشمالية : تشمل الحجازية.

تميزت منحوتات السومريين عن غيرهم من خلال بعض المظاهر الجسدية مثل حلق الرؤوس والشوارب وشكل الأنف وإطلاق اللحى ، كما تشير هذه الهيئات الى طبقة الشخص الدينية والاجتماعية والسياسية ، وتعد كتابات امراء السومريين وجداول ملوكهم ونصوصهم الأدبية ، أهم المصادر التاريخية عن حضارة سومر ، عندئذ تذكر جداول الملوك السومريين أن الملوكية نزلت من السماء لأول مرة في مدينة أريدو الواقعة بالقرب من أور في محافظة ذي قار ، الى حين جاء الطوفان العظيم الذي غمر الأرض ومن عليها ، باستثناء رجل أسمته النصوص السومرية "زيوسدرا". [١٢]

وشيدت دويلات المدن السومرية بالقرب من الأنهار الرئيسية أو بالقرب من فروعها ، عدت هذه الدويلات كثيرة ومتقاربة ، محاطة بأسوار ، لم تكن ذات كثافة سكانية ، ، و تسمى المدينة الكبيرة باللغة السومرية "أورو" وبالأكدية "آلو" ، كما تتكون المدينة من ثلاثة أقسام : يكون القسم الأول داخل السور ،فيه المعابد وقصور الحكام الرئيسة ومنازل أصحاب الحرف، ويكون القسم الثاني " كار بار را " قرب السور فيه مساكن الفلاحين وحظائر الماشية والمعبد المخصص لاحتفالات رأس السنة ، والقسم الثالث " كار " يعني الميناء فيه ميناء المدينة ومركزها التجاري ومستودعات البضائع وخانات لإيواء التجار ، وقام اقتصادهم على تربية المواشي والزراعة

والتجارة، إلا أنه كان يقوم من ناحية ثانية على الصناعة الفخارية والتي هي أحدى أكبر الصناعات السومرية المتشابهة مع الفخاريات الموجودة في آسيا الوسطى مع الموميائيات ، وذلك لأن القوانين التشريعية السومرية ، كانت قد قدمت وصفاً للكثير من الحرف اليدية والصناعات مثل اعمال التطعيم والطرق على النحاس وإنجاز العديد من الآنية الذهبية[١٣] .

وهناك صناعة الروائح والمراهم والعطور والمجوهرات والادوية وصناعة المركبة والعجلات والاسلحة والملابس والاحذية والادوات المنزلة وحتى السومريون كانوا يستعملون الاسفلت تبليط داخل الابلام والقوارب المائية ثم بدأوا يستعملون الاسفلت لتبليط الطرق داخل المدن. [١٤]

وكانت تحصن كل دويلة مدينة بأسوار عالية لصد الهجمات ، فيها صرحها المدرج والى جانبه معبد المدينة الأرضي ، وكان يؤلف المعبد مركز هذه المدينة ومحورها في الجوانب الاقتصادية والدينية والمعمارية ، وأن بداية المرحلة السومرية كانت قائمة في تاريخ العراق القديم على أساس أن الاله هو مالك كل شيء ، ويكون المشرف على أدارة المجتمع ، وينظم أموره على أساس ثيروقراطي، وتشرف الدولة على وسائل الإنتاج وتجعلها في خدمة الاله ، جرت هذه الامر عن طريق وكيل الاله المفوض لإدارة شؤون المدينة وهو الملك ، فمع مرور الزمن أخذ الحكم يتحول بشكل تدريجي من الزعامة الدينية الى الزعامة الدنيوية . [١٥]

٥-خصائص السومريين العامة:

تحدث طه باقر بأبحاثه المستمرة حول أصل السومريين أنهم أحد الجماعات المنحدرة من بعض الاقوام المحلية من شمال بلاد ما بين النهرين في عصور ما قبل التاريخ البعيدة ، قائلاً [١٦]:

أ- استخدموا الرمز الخاص بالجبل والبلاد لتعبير عن مدلول واحد إلا وهو الاستقرار في المنطقة الجبلية قبل ان ينزحوا الى السهل الرسوبي .

ب-تولع السومريين ببناء الزقورات في معابدهم الخاصة لهم ، واهميتها بالديانة السومرية .

ج-وجدت الأشجار والحيوانات الجبلية في رسوم اختامهم الاسطوانية . [١٧]

بدأ بناء الزقورات في عهد الملك اور نامو ملك الاور ، الذي أمر ببناء أو معبد ما يسمى الزقورة في مدينة اور سنة ٢١٠٠ق.م ، باستعمال الطين ، وكانوا يعملون الطابوق من الطين ويضعونه في الشمسي الى حين يجف ، يستعملونه في بناء المعابد والقصور [١٨].

ثانياً: مظاهر حضارة سومر من ٤٥٠٠حتى ٢٠٠٠ق.م في بلاد ما بين النهرين.

١-مظاهر الحياة السياسية للسومريين في بلاد ما بين النهرين :

عدا نظام الحكم في بلاد سومر عبارة عن دويلات مدن مستقلة بعضها عن بعض ، لها حكمها الخاص الخاضع لحكم لإله المدينة الرئيس، وهو المسؤول عن أدارة الشؤون الخاصة بالمدينة نيابتاً عن الههها، وكان لكل دويلة مدينة قانونها وعاداتها وتقاليدها الخاصة بها ، كما بلغ عدد دويلات المدن السومرية ١٣دويلة ممتدة من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب هم كيش ، واكشاك ولاراك ، و نفر ، و ادب ، اوما ، و لكش ، و باد تيبرا ، و اوروك ، و لارسا ، و اور ، و اريدو، تتألف كل دويلة من مدينة مركزية هي العاصمة ، يتبعها عدد من المدن والقرى والارياف والأراضي الزراعية ، وكانت الدويلات السومرية في الفترة ما بين ٢٣٧٠-٢٩٠٠ق.م في حالة من الصراع والنزاعات الدائمة ، نتيجة فرض السيطرة على المزيد من الأراضي الزراعية ومصادر المياد وفرض سيطرت رؤوس الاموال على الطرق التجارة المؤدية الى مواد الخام ، لتوحيدها بدولة واحدة وضمها تحت سلطة مركزية واحدة ،لضمان سلامتها وامنها والدفاع عن كامل حقوقها . [١٩]

فظهر ميسكياجاشر ملك مدينة أوروك وركاء جنوب مدينة كش ،قام بالسيطرة على المنطقة الممتدة من البحر الأبيض المتوسط حتى جبال زاجروس، وخلفه ابنه إنمركار سنة ٢٧٥٠ ق.م، استولى على مدينة أراتا بشمال شرق بلاد الرافدين ، وقام إنمبارجاسي ملك دولة إتانا بكش في سنة ٢٧٠٠ ق.م ، بالسيطرة على بلاد سومر، وانتصر علي دولة عيلام ، وأقام معبداً للإله إنليل بمدينة نيبور التي أصبحت المركز الديني والحضاري لسومر. [٢٠]

ونتهى حكم إتانا بكش بعد سقوطه سنة ٢٦٧٠ ق.م، على يد ميزنباد ملك مدينة أور التي جعلها عاصمة بلاد سومر، لكن بعد موته بسطت مدينة أرك نفوذها السياسي عليها بواسطة جلجاماش ما بين ٢٧٠٠ ق.م. – ٢٦٥٠ ق.م، الذي دارت حوله الملحمة الشهيرة، ملحمة جلجامش . [٢١]

لم يكن الحظ حليف دويلات المدن السومرية كما لم يتم توحيد هذه الدويلات خلال عصر السلالة السومرية ، نتيجة عدة أسباب منها :

- **تضارب مصالح دويلات المدن فيما بينها .**
- **اتساع دويلات المدن وتكاثر سكانها.**
- **تضارب تنظيمها لشؤون إدارة كل دويلة مدينة وإدارة الري والتجارة الخارجية.** [٢٢]

وقامت الإمبراطورية السومرية بقيادة لوجلالمند في مدينة أدب سنة ٢٥٢٥ق.م –٢٥٠٠ق.م ، امتدت من جبال طوروس حتى جبال زاجروس ومن الخليج العربي وحتي البحر الأبيض المتوسط ، فقد عاشت سومر فترة اضطرابات داخلية، الى وقت اجتاحها الملك السامي سارجون الأول سنة ٢٣٣٥–٢٢٧٩ق.م ، استغرق حكم الاكاديين قرن ، بذات الفترة حكم قواده أور نامو بالعهد الثالث في مدينة أور ، وخلفه ابنه شلجي ٢٠٩٥–٢٠٤٧ق.م ، كان قائداً عسكرياً ومصلحاً اجتماعياً كأبيه وأديبا، وضع قانونا قبل قانون حمورابي بثلاثة قرون، وفتح المدرس والجامعات(٢٣).

تطورت الكتابات والحسابات التي كانت تدون على الالواح الطينية الى الحروف المسمارية وفي الأرقام والاعداد تطورت كتابة الأرقام وتشكلت نظام الستين ، ومنذ مهد حضارة سومر إلى يومنا هذا الناس يستعملون نظام ستين مثل الساعة هي ٦٠ دقيقة ودقيقة هي ٦٠ ثانية وهكذا أن الدائرة عبارة عن ٣٦٠ درجة، وإشارات العديد من الوثائق المسمارية وجداول الملوك السومرية ، الى أن الملوكية نزلت من السماء أول مرة ، وتعد هبة منها ومقرها فيها ورموزها " الصولجان والتاج وعصى الراعى" ، من ثم نزلت في عدة مدن حكموا فيها الملوك ، وتنقلوا فترة الحكم الى وقت جاء الطوفان ورجعت الملوكية الى السماء (٢٤).

ومن ثم هبطت الملوكية مرة ثانية من السماء بعد زوال الطوفان في مدينة كيش ، التي تأسست فيها سلاله حاكمة حكم فيها ٢٣ملكاً ، كل واحد منهم حكم ألف سنة ، تمكن هؤلاء الملوك من فرض السيطرة السياسية من خلال هذه المدة ، واتخذوا لأنفسهم لقب " ملك كيش" ملك العالم ، حكم عام ٢٧٠٠ق.م ، وأصبح من الضرورة الملحة أن يتم اختيار الملوك من قبل الاله انليل في نينور، على ضوائها تعد سلالة كيش في شمال بلاد بابل ، وسلالة الوركاء في الجنوب ، كما تشير المصادر التاريخية الى أن سلالة أور الأولى خلفت سلالة الوركاء في الحكم عام ٢٦٠٠ق.م ، دامت قرابة قرن فقط ، الى حين تمكنت القبائل العلامية الجبلية من القضاء عليها عن طريق قبيلتي أوان وخمازي. (٢٥)

فلعب " أي اناتم "أحد ملوك عصر فجر السلالات مدينة لكش عام ٢٥٥٠ق.م ، دوراً مهماً في القضاء على الفوضى التي عمت أرجاء البلاد بعد الغزو العيلامي للبلاد ، قضى عليهم وانتصر على " اور واروك " وأضاف مملكة كيش الى مدينة لكش، بالرغم من ذلك لم يستمر ازدهار لكش لمدة طويلة ، نتيجة الازمات الاقتصادية التي حلت في البلاد ، ومحاولة الحكام زيادة الضرائب المفروضة على المواطنين ، وقيام ثورة شعبية أطاحت بالسلالة الحاكمة وجاءت بحكم

جديد هو " اوروكاجينا" ، إذ عدا أول مصلح في العالم القديم وقام من طبقة الكهنة ، فمن أهم إصلاحات " اوروكاجينا" تمكن من :

- القضاء على الفساد الاقتصادي والسياسي والاجتماعي .
- الغى الكثير من الضرائب المفروضة على المواطنين .
- عمل على الحد من استغلال الطبقة الحاكمة والمتنفذين والموظفين وابتزازهم الأموال .
- حدد عقوبة للمرأة التي تتزوج برجلين .
- الغى عقوبة الرجم للسارق[٢٦].

غير أنه لم يتمكن من تحقيق جميع اصلاحاته خلال مدة حكمه البالغة ٨ سنوات ، كما تمكن الملك" لوكال زاكيزي " ملك اوما من القضاء على لكش نهائيا وضم دويلات المدن السومرية تحت نفوذه ، و حاول مد نفوذه حتى الخليج العربي والبحر المتوسط واقام اول دولة موحدة لبلاد سومر واكد. [٢٧]

تميزت حضارة سومر المزدهرة في بلاد ما بين النهرين بنظامها العسكري المعروف بدقته ، وعدا السومريين أول من عرف نظام الصف ، فيما كان العساكر يطفون بصف واحد ، أضافة إلى تنوع أسلحة السومريين فعرفوا السيوف المقوسة نسبياً على شكل أوراق الأشجار والرماح ، واستخدموا العربات ذات العجلات التي تجرها بعض الدواب كالحمار الوحشي ، تحوي جعبة رماح ، كما وضع فيها حاجز لحمايتهم من هجوم العدو وضرباته، وابتكر السومريين استراتيجيات حربية مكنتهم من انتصارهم على أعدائهم وفوزهم في أغلب الحروب منها إستراتيجية إضعاف العدو وإرهاقه ،ومن ثم بعد أن يفشل العدو يقوم الجنود السومريين بالهجوم عليه من الأمام والخلف حتى يضيقوا على خصمهم [٢٨].

بالنسبة لمصدر نظام العسكري السومري كانت موجودة على شكل رسوم ونقوش خلفتها حضارة سومر في المدن السومرية المختلف [٢٩].

٢-أثر حضارة سومر على الحياة الثقافية في بلاد ما بين النهرين :

اعتبرت الحياة الثقافي من أهم جوانب الحياة عند السومريين ، فقد أتقنوا العمارة ، وعرفوا مواد بناء متطور بالنسبة لسنة ٣٩٠٠ ق.م ، كما عملوا على صنع اللبنة بالطين المجففة في الشمس ، والطين المشوي في الفرن ، كمادة أولية في البناء ، أضافة لاستعمال التربة الممزوجة بالرماد

وكذلك القار كملاط لصاق اللبنات ببعضها البعض ، واشتهروا بتزينهم لأبنيتهم المزخرفة بالأقواس والقباب ، وجعلوا لمدنهم أصوار سميكة وعالية ، كمدينة أور إذ بلغ عرض الصور ١٥كلم ، تميزت عمارتهم ببناء الزاقورات التي تشبه بشكلها الهرم ، فلم تكن تقتصر على العبادة وحسب ، بل استعملت كمركز للإدارية والمحطات التجارية إضافة لاستعملها كمراصد فلكية (٣٠).

تعتبر الكتابة فجر السلالات ، وأول الحضارات السومرية المبتكرة في تاريخ بلاد ما بين النهرين سنة ٣٢٠٠ق.م ، ابتكر السومريين الكتابة ونشروها في عدة بلدان شرق أوسطية ، فقام السومريين ببناء أول المدارس في التاريخ ، وابتكروا الخط المسماري الذي عدا أعظم المنجزات الحضارية التي غيرت التاريخ ، وفيه تطورت ، وانطلت فكرته الى مصر ، ثم الى باقي أرجاء المعمورة، والى بلدان العالم القديم المجاور لبلاد ما بين النهرين ، استخدمت الخط المسماري الرافدي العريق ، الذي ساهم في نقل الأفكار والآراء المختلفة لشعوب البلاد فيما بينها الإدارة لإنجازات حكامها ، وسمي الخط المسماري بهذا الاسم لأنه يشبه المسمار ، كما مرت الكتابة المسمارية بثلاث مراحل هي المرحلة الصورية : هي عبارة عن علامات تمثل الأشياء المراد تدوينها وتمثل كل صورة كلمة ، مثلاً سمكة اكتفى برسم صورتها لتعبير عنها .

المرحلة الرمزية : هي طريقة مختصرة تمكن الكتاب القدماء بواسطتها من تدوين وتوثيق أفكارهم والأشياء المعنوية من رسم صورة لها على شكل هيأت مختصرة ، إذ بدأت الكتابة التصويرية في الربع الأخير من الالف الرابع قبل الميلاد في مدينة الوركاء، حيث عثر في الطبقة الرابعة من موقع المدينة على كتابات على شكل صور سميت بالكتابات التصويرية، إلى حين أصبحت علامات لا تعبر عن الشيء الذي تصوره فقط ، بل تعبر عن أفكار ذات صلة بما تمثله تلك العلامة ، مثلاً: أصبحت صورة القدم لا تستخدم لتدوين القدم ، بل اتخذت لها معاني جديدة مستمدة من المعنى الحقيقي كالذهب والوقف والمشي، ثم تطورت هذه الكتابة في مراحل متقدمة إلى الكتابة الرمزية المقطعية، و اقتصرت الكتابات على تدوين شؤون المعابد، دون أن تكتب بها نصوص تاريخية. (٣١)

المرحلة الصوتية : تعد هذه المرحلة الأكثر تطوراً ، والمقصود بها إعطاء أصوات للعلامات تتناسب مع لغتهم المجردة من مدلولاتها الرمزية والصورية ، ولم يتمكن الكاتب العراقي القديم من الوصل الى الطور الهجائي ،وكتب التلاميذ من خلال الخط المسماري ، في ألواح طينية تعرف بكتاب النص ، و عرفت سومر نظاماً تعليمياً متطوراً ، حين عثر على أحد الألواح الطينية مكتوب عليها تمارين في الحساب قام التلاميذ بها بأنفسهم ، كان نظام المراقبة المستمرة للتلاميذ

ما بين ٤٠٠٠-٣٣٠٠ق.م ، إذ ينهي التلميذ مرحلته التعلمية بعد أن يجتاز امتحانات خاصة بذلك الطور. (٣٢)

٣-أثر حضارة سومر على الحياة الاقتصادية في بلاد ما بين النهرين :

أثرت حضارة سومر في نشأة التجارة في بلاد ما بين النهرين ، وساعدت الحضارة في أزدها الحياة الاقتصادية نتيجة عاملين ، العامل الأول : تمثل في التفاوت بين القدرات البشرية وصناعاتهم ، والعامل الثاني : تجسد في اختلاف مواد الخام المتوفرة داخل الدولة ، كما تختلف المواد الأساسية للبناء أو المحاصيل الزراعية من منطقة لأخرى ، فيما نجد أن هناك تكامل بين قارات العالم من حيث تقسيم الثروات الطبيعية فيما بينهم ، وهناك مواد كثيرة لا تتوفر في السهل الرسوبي الجنوبي لبلاد ما بين النهرين كالمعدن والأحجار الكريمة وشبه الكريمة والأخشاب ، حينئذ اعتمدوا السومريين على جلبها من المناطق المجاورة ، للحاجة الضرورية لجلب تلك المواد ، منها ازدهرت التجارة والأسواق بصفة خاصة والاقتصاد بصفة عامة . (٣٣)

وبما أن الحضارة السومرية استقرت في جنوب بلاد ما بين النهرين في السهل الرسوبي ، من البديهي أن يكون نشاطهم الاقتصادي هو اعتمادهم الرئيسي على الزراعة (٣٤)، فقد كانت بلاد ما بين النهرين تعاني من قلة الامطار التي دفعت أهل بلاد الرافدين يتعلمون كيفية ري الأراضي الزراعية عن طريق بناء قنوات مائية تصل المياه من النهرين دجلة والفرات والانهار الصغيرة الى الأراضي الزراعية والبساتين ، وقد تطورت استخداماتهم وطرقهم في سقي الأراض فابتكروا طرق الري وطوروها ، وحفروا قنوات الري وأقاموا ببناء السدود ، حينئذ استطاعوا التحكم في الفيضانات بعد أن كانت تجربتهم الأولى مع هذه الظاهرة الطوفان العظيم ، وعدت شبكة القنوات معجزة من معجزات الري، مما جعل السومريون هم بناة أقدم حضارة في التاريخ. (٣٥)

تمثلت أهم المحاصيل التي أنتجت فخر التاريخ السومري في القمح والشعير ، أضافة للسمسم ، وتشير الوثائق التاريخية التي وجدت في لاكش على وجود بساتين مثمرة بأشجار النخيل وكذلك مزارع الخضروات ، واعتمد الشعب السومري على تربية الحيوانات كالمعز والخنازير ، ففي سنة ٣٥٠٠ق.م تحولت القرى الى مدن كبيرة نتيجة زيادة عدد النفوس ، كما يعود تدجينهم للحيوانات في بلاد ما بين النهرين الى العصر الحجري القديم الأعلى ، منه استقى الفرد السومري من المواريث السابقة ليطور هذه الحرفة ، ومنها نتج استغلال الصوف وجلود الحيوانات ليطور الصناعات النسيجية والصوفية ، كما وجد في لاكش أواح تظهر العمال والعاملات الذين عملوا في المعابد لنسج الصوف والصناعات اليدية الأخرى ، وأيضاً وجد في هذه الألواح معلومات عن صيد السمك ، منها عرف السومريين وسائل النقل المائية ، فطبيعة بيئتهم المليئة بالأهوار

دفعتهم لابتكار السفن ، إذ وجد مجسم من الفخار لسفينة شراعية تعود لسنة ٤٠٠٠-٣٠٠١ق.م في أريدو [٣٦].

تطور هذا النوع من السفن سنة ٢٨٨٠ق.م ، حيث وجدت أشكال هذه السفن محفورة في أختام أسطوانية تظهر مشهد لسفن الصيد في نهر دجلة ، وكانت تعد الأراضي ومنابع المياه في الحضارة السومرية من أهم مورد لدى الحكام والشعوب ، لذلك فقد وقعت حروب ونزاعات بسبب هذه الموارد ، وتتوسع الدولة المنتصرة على حساب الدولة المنهزمة ،وتعتبر فرض السيطرة والسطو على الأراضي الخصبة ومنابع المياه الأساسية أساس هذه النزاعات[٣٧] .

ونتيجة لإنتاج السومريين محصولات زراعية كانت في بداية فجر السلالات معاشية لتتحول في فترة قصيرة إلى تصديرية بعد أن أصبح الإنتاج كبير، وبعد أن اشتهرت سومر بالصناعات الفخارية والنسيجية وجلود وعربات ذات أربع عجلات، أصبحت تمارس التجارة الخارجية أي تصدر فائض إنتاجها، إذ أصبحت هذه التجارة عمود الحياة لدي السومريين، كون بلاد سومر التي تقع في السهل الرسوبي تفتقر لبعض المواد الأولية التي أصبحت بلاد سومر في حاجة إليها لتطوير صناعتها، مثلا الأحجار لبناء الزاقورات، فكان لهذه التجارة الخارجية طرق خاصة، وقد أنشأت سومر مراكز تجارية في أغلب الدول التي تتعامل معها وتصب سلعها هناك لتبيعها وتستورد من هناك المواد التي تنقصها إلى بلادها. [٣٨]

الخاتمة :

أتضح من خلال دراستنا أن الحضارة السومرية كانت مزيجاً مركباً من بدايات خشنة وإتقان بارع في بلاد ما بين النهرين ، على قدر ما وصل اليه علمنا في الوقت الحاضر ، وأن ما أسسه السومريين من دول وامبراطوريات ، وأول نظم الري ، وأول استخدام للذهب والفضة في تقويم السلع ، وأول العقود التجارية ، وأول نظام للائتمان ، وأول كتب القوانين ، وأول استخدام للكتابة في نطاق واسع ، وأول قصص الخلق والطوفان ، وأول المدارس والمكتبات، وقد اتخذت حضارة سومر التي ظهرت مكانتها بين الحضارات القديمة ، وامتدا تأثيرها التجاري والصناعي والثقافي الى وقتنا الحاضر .

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر العربية :

-طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط١، دار الوراق ، لندن ، ٢٠٠٩م، ج١.
- د. كاتب ، قواعد اللغة السومرية ، ترجمة فوزي رشيد ، د، دار نشر ،١٩٧٢م،ج١.

-أندره ايمار وجانين أوربوايه ، تاريخ الحضارة العام ، ترجمة : فريد داغر وفؤاد -أبو ريحان ، ط٣، منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٩٣م، ج١.

صموئيل نوح كرامر، السومريون ، تاريخهم وثقافتهم وشخصيتهم ، دار نشر الغريب جامعة شيكاغو، ٢٠١٠م، د ،ط ، ج١.

-غلين دانيال ، الحضارات الأولى ، الأصول والاساطير ، ترجمة : سعيد الغانمي ، ط١، دار الثقافة، دبي ، ٢٠٠٩م.

-عامر سليمان ، العراق في التاريخ القديم ،ط١، المؤسسة اللبنانية ، بيروت ، ١٩٠٠م، ج١.

- احمد عارف حجازي، اللغات السامية ،د، ط، دار الفرحة ، المغرب ، د، س، ج١.

-زهير صاحب، دراسة في الحضارة العراقية ، ط١، دار الجوهري ، بغداد، ٢٠١٤م.

-احمد محمد عوف ، موسوعة حضارة العالم ، ط١، دار العلوم ، مصر، ١٩٩٩م ، ج٤.

- كريستوفيتش، المحرر، ملحمة جلجامش في نقد الأدب الكلاسيكي والعصور الوسطى ، دار يترويت ، ميشيغان ، د، ط، س، ج١.

-عبد القادر حسين علي ، حضارات العراق ، د، ط، دار الحرية ، بغداد ،١٩٨٥م، ج١.

-ديلا بورت ، بلاد ما بين النهرين ، ترجمة : محرم كمال ، ط٢، الهيئة العامة المصرية ، مصر ، ١٩٩٧م، ج٢.

-بوتير ، ولادة الالهة، غاليمار ، باريس ،١٩٨٦م، د، ط ، ج١.

- لامبرت ، إصلاحات اور كاجينا ، د،ط ،باريس ، ١٩٦٨م، ج١.

-أحمد أمين سليم ، تاريخ العراق وإيران وآسيا الصغرى ، د، ط، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ٢٠٠٠م.

-صموئل نوح كريمو، من أواح سومر، ترجمة : طه باقر ، د، ط، مكتبة المثنى ، بغداد، ١٩٥٦م.

- دياكوف وكوفاليف، الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، ط١، دار علاء الدين، دمشق،سوريا، ٢٠٠٠م، ج١.

- أي أم دياكونوف ، المجتمعات والدول في العراق القديم ، موسكو ، ١٩٥٩م،

- محمد حراب فرزات وعيد مرعى ، دول وحضارات الشرق العربي القديم ، ط٢، دار طلاس ، دمشق، ١٩٩٤م، ج١.

المصادر الأجنبية:

-Éliane Lopez, L'histoire des civilisations, 1ere Edition, Groupe Eyrolles : Paris-France, 2008.

- Rowlands, Michael J. (1987). Centre and Periphery in the Ancient World. Cambridge University Press.

- Feuerstein, Georg; Kak, Subhash; Frawley, David (2005) The Search of the Cradle of Civilization: New Light on Ancient India .Motilal Banarsidass Publishers

Thorkild Jacobsen, The Sumerian king list, 4Ed, The university - of Chicago: Chicago-USA, 1973.

.-Georges Roŭ (1993). Ancient Iraq (3rd ed.). London: Penguin.p88

-Jacobsen atahorkild(1939), Sumerian King List University of .Chicago Press,p77-69

-Piotr Michalowski, "Sumerian," The Cambridge Encyclopedia of the World's Ancient Languages." Ed. Roger D. Woodard 2004, Cambridge University Press.

المجلات العربية :

- نور خضر بدر، مجلة الفنون والادب وعلوم الإنسانيات والاجتماع ، كلية الامارات للعلوم والتربية والنفسية ، مج٢٠١٥، عدد١، ٢٠١٥م.

[١] طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط١، دار الوراق ، لندن ، ٢٠٠٩م، ج١، ص١٢٣.

[٢] د. كاتب ، قواعد اللغة السومرية ، ترجمة فوزي رشيد ، د، دار نشر ،١٩٧٢م،ج١، ص٢٧.

[٣] قواعد اللغة السومرية ، المرجع السابق ، ص٢٩.

[4] Da Riva ،Rocío (2013). The Inscriptions of Nabopolassar, Amel-Marduk and Neriglissar. Walter de Gruyter.p72..

[٥] طه باقر ، مقارنة في تاريخ الحضارات القديمة ، د، ط ، دار الوراق ، بغداد ، ١٩٧٣م، ج١، ٢٦٥.

[٦] أندره ايمار وجانين أوربوايه ، تاريخ الحضارة العام ، ترجمة : فريد داغر وفؤاد أبو ريحان ، ط٣، منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٩٣م، ج١، ص١٣٩.

[٧] صموئيل نوح كرامر، السومريون ، تاريخهم وثقافتهم وشخصيتهم ، دار نشر الغريب جامعة شيكاغو، ٢٠١٠م، د ،ط ، ج١، ص١٤٥.

[٨] غلين دانيال ، الحضارات الأولى ، الأصول والاساطير ، ترجمة : سعيد الغانمي ، ط١، دار الثقافة، دبي ، ٢٠٠٩م، ص١٢٦.

[9] Piotr Michalowski, "Sumerian," The Cambridge Encyclopedia of the World's Ancient Languages." Ed. Roger D. Woodard (,٢٠٠٤Cambridge University Press). Pages 19–59

[١٠] عامر سليمان ، العراق في التاريخ القديم ،ط١، المؤسسة اللبنانية ، بيروت ، ١٩٠٠م، ج١، ٩٣.

[١١] احمد عارف حجازي، اللغات السامية ،د، ط، دار الفرحة ، المغرب ، د، س، ج١ ، ص٣٣٥

[12] Jacobsen atahorkild(1939), Sumerian King List University of Chicago Press,p77-69.

[١٣] زهير صاحب، دراسة في الحضارة العراقية ، ط١، دار الجوهري ، بغداد، ٢٠١٤م، ص٢٤٣.

[14] Georges Roŭ (1993). Ancient Iraq (3rd ed.). London: Penguin.p88.

[١٥] صموئيل نوح كرامر، السومريون ، تاريخهم وثقافتهم وشخصيتهم، مرجع سابق، ص١٥٠.

[١٦] طه باقر، مقدمة في الحضارات القديمة ، مرجع سابق ، ص٢٣٠-٢٣١.

[١٧] طه باقر ، المرجع السابق ، ص٢٣٢.

[18] Feuerstein, Georg; Kak, Subhash; Frawley, David (2005). The Search of the Cradle of Civilization: New Light on Ancient India Motilal Banarsidass Publishers. p. 117.

[19] Thorkild Jacobsen, The Sumerian king list, 4Ed, The university of Chicago: Chicago-USA, 1973, P13

[٢٠] احمد محمد عوف ، موسوعة حضارة العالم ، ط١، دار العلوم ، مصر، ١٩٩٩م ، ج٤، ص١٤٥-١٤٦,

[٢١] كريستوفيتش، المحرر، ملحمة جلجامش في نقد الأدب الكلاسيكي والعصور الوسطى ، دار يترويت ، ميشيغان ، د، ط، س، ج١، ص٧٤.

[٢٢] عبد القادر حسين علي ، حضارات العراق ، د، ط، دار الحرية ، بغداد ،١٩٨٥م، ج١، ص٧٦-٧٧.

[٢٣] ديلا بورت ، بلاد ما بين النهرين ، ترجمة : محرم كمال ، ط٢، الهيئة العامة المصرية ، مصر ، ١٩٩٧م، ج٢، ص٢٦.

[٢٤] بوتير ، ولادة الالهة، غاليمار ، باريس ،١٩٨٦م، د، ط ، ج١، ص٢٥٧.

[25] Rowlands, Michael J. (1987). Centre and Periphery in the Ancient World. Cambridge University Press. p. 37

[٢٦] م لامبرت ، إصلاحات اور كاجينا ، د،ط ،باريس ، ١٩٦٨م، ج١، ص٢٣١.

[٢٧] نور خضر بدر، مجلة الفنون والادب وعلوم الإنسانيات والاجتماع ، كلية الامارات للعلوم والتربية والنفسية ، مج٢٠١٥، عدد١، ٢٠١٥م، ص٢١-١٤،

[٢٨٢٨] أحمد أمين سليم ، تاريخ العراق وإيران وآسيا الصغرى ، د، ط، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ٢٠٠٠م ، ص٤٣٣.

[٢٩] طه باقر ، مقدمة عن الحضارات القديمة ، ص٣٥١.

[30] Éliane Lopez, L'histoire des civilisations, 1ere Edition, Groupe Eyrolles : Paris-France, 2008, P38

[٣١] صموئل نوح كريمو، من أواح سومر، ترجمة : طه باقر ، د، ط، مكتبة المثنى ، بغداد، ١٩٥٦م،ص٤١.

[٣٢] صموئل نوح كريمو، من أواح سومر، المرجع السابق ، ص٤٣

[٣٣] دياكوف وكوفاليف، الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، ط١، دار علاء الدين، دمشق،سوريا، ٢٠٠٠م، ج١، ص٨٢

[٣٤] أي أم دياكونوف ، المجتمعات والدول في العراق القديم ، موسكو ، ١٩٥٩م، ص٣٢.

[٣٥] طه باقر، المرجع السابق، ص٣٦٦.

[٣٦] عبد القادر حسين علي، إنسان الكهوف والآلات الحجرية، حضارات العراق، ص٨٩.

[٣٧] طه باقر ، مرجع سابق، ص٣٦٧-٣٦٩.

[٣٨] محمد حراب فرزات وعيد مرعى ، دول وحضارات الشرق العربي القديم ، ط٢، دار طلاس ، دمشق، ١٩٩٤م، ج١، ص٩٣.